وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على زعزعة الأمن الفكري(*)

أهجو رقية
جامعة محمد الخامس الرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ المغرب

تمهيد:

لطالما سمعنا عن الأمي، وكما هو معروف عند عامة الناس أنه هو ذاك الشخص الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، لكن هذا الامر بات متجاوزا اليوم؛ حتى أصبح العالم الذي لا يعرف الى وسائل التواصل الاجتماعي سبيلا؛ يعد اميا في نظر البعض. وان كان في هذا بعض من الشطط والاخذ والرد، الا ان وسائل المعلوميات والاتصال عامة غزت كل تفاصيل حياتنا بشكل ملفت ومهول، حتى بتنا اليوم نبحث عن عيادات خاصة لعلاج مرضى ادمان العصر؛ الا وهو ادمان الشبكة العنكبوتية بما حوت من مواقع وغرف ومنازل افتراضية، باتت تغني بشساعتها وتعددها عن الاهل والاصحاب الواقعيين. ولقد ساعدت تكنولوجيا المعلوميات والاتصال الرقمي على ربط التواصل بين الشعوب بمختلف توجهاتها الحضارية، متجاوزة بذلك الحدود السياسية والجغرافية، وباتت العزلة الحضارية التي كانت تعرفها معظم شعوب المعمورة؛ أمرا مرفوضا ومردودا على أصحابه. وإذ يشهد عالمنا هذه التغيرات المتسارعة في كل مجالات الاتصال المتعدد الأوجه، طال ذلك بالضرورة تغير أنماط التفكير والتوجهات والاعتقادات وحتى القناعات.

وعلينا الاعتراف بالدور الذي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي في امداد الانسان بكثير من المعلومات والمواقف والاتجاهات، مساهمة بذلك في تشكيل وعيها بإعداده ليكون أكثر قدرة على التأثير في الآخرين واستمالتهم، وأكثر قدرة على الاقناع وجعلت مفاهيمه تتسع وتنفتح أكثر على عوالم مختلفة ومتعددة، بدل العزلة التي كان يعرفها قبل ظهور هذه الوسائل وانتشارها بالشكل الذي هي عليه اليوم. فهي تقدم اللغات وتسهم في ترجمة المعلومات من إلى اللغة العربية، من أجل تسهيل عملية التواصل بين الشباب وإزالة الفوارق الحضارية، فضلا عن تميز هذه الشبكات بعدة مميزات منها "التشاركية و. التفاعلية والحضور الدائم غير المادي" ، وقد نتج عن التزاوج بين تكنولوجيا الاعلام والاتصالات ظهور ما يسمى بالإعلام الالكتروني، الذي أحدث ثورة في عملية الاتصالات، حيث إن الفرد في المجتمع أصبح باستطاعته أن يرسل ويستقبل ويتفاعل ويعقب ويستفسر ويعلق ويعبر بكل حرية وبسرعة فائقة، حتى اننا أصبحنا نشهد ونلحظ ما يمكن ان نعبر عنه بازدواجية الشخصية الإنسانية، اذ نجد الفرد له شخصيتان متباعدتان تماما؛ واحدة في الواقع يتعامل بها مع كل محيطة الواقعي المعيش، وأخرى خاصة بالتواصل الوهمي في العالم الافتراضي، وغالبا ما تكون وسائل التواصل الاجتماعي عالما ينقض فيها المرء مثقلاته الحياتية، ويلقي فيها كل مكنونات نفسه فيخرج كل ما يستحي من اضماره في واقعه فيعبر عن خلجات روحه بكل اريحية ، وقد لاقت شبكات التواصل الاجتماعي إقبالا ملفتا من جميع الفئات العمرية والاجتماعية، خاصة فئة الشباب، فقد سمحت لهم بتبادل الآراء والأفكار والقناعات فيما بينهم ومن

جميع انحاء العالم، ومناقشة قضايا مختلفة ومتعددة اجتماعية واقتصادية وثقافية وحتى سياسية، ومن خلال هذه الوسائل يتواصل الافراد فكريا وليس جسديا كما في الواقع وهذا ما يضفي بعضا من الخصوصية عليها ويجعلها أكثر تميزا من وسائل الاتصال الكلاسيكية.

وقد تجاوز الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي الافراد والاسر العربية، بل حتى الحكومات ادركت أهمية هذه الوسيلة التواصلية، فشرعت في ايلاج تقنيات هذه الوسائل في معظم خطاباتها وإجراءاتها التواصلية مع الشعوب. وهرعت الى محاولة الاستفادة من هذه الفضاءات على الانترنت التي تختصر الجهد والوقت لتحقيق تواصل افضل، وهذا أدى الى تعزيز التواصل بين كل المواطنين والمقيمين من جانب، والشركات والحكومات من جانب آخر ، وتجدر الإشارة؛ الى ان لهذ الوسائل سلبيات جمة لكما لها إيجابيات، وفعل التغيرات المتسارعة وقع الشباب العربي عامة في شتات واضح في المنطلقات والأهداف، حيث أدت تلك التغيرات الى افتقاد الشباب لمقدرة التمييز الواضح والرصين بين الصواب والخطأ، مما نتج عنه ظهور أزمات فكرية مستعصية، كان لها بالغ الأثر في الدفع بهم الى عنق الزجاجة والزج بهم في زوايا فكرية ضيقة، وبالتالي التمرد والثورة على قيم المجتمع وثوابتها .

وإذ نتعرض لهذا الموضوع بالدراسة، هذا الموضوع الذي اضحى حديث الساعة لأهميته وشدة تغلغله في حياتنا اليومية بكل تفاصيلها، فإننا لا نتوخى بذلك العرض المجرد تبعا للأهواء والتخيلات والقناعات الشخصية، وانما نسعى من وراء هذه الالتفاتة الى الوقوف وقفة جادة واكاديمية محايدة لتدارس الظاهرة دراسة رصينة، علمية، تتماشى والواقع الذي وصلت اليها وسائل التواصل الاجتماعي، ولذلك سنعمد الى عرض آراء المساندين والمخالفين لهذا التغلغل، ونعمد أيضا الى دراسة مدى تأثير هذه الوسائل في نفوس النشء وزعزعة امنه الفكري والروحي والعقدي، ثم نعرج على ذكر بعض السبل لتقنين استعمال هذه الوسائل حتى نحمي شبابنا فكريا وروحيا وعقديا وحتى ثقافيا، وإزاء ذلك نقف امام إشكالات عالية السقف، فإلى أي حد باتت مجتمعاتنا لا تقوى على العيش بعيدا على وسائل التواصل الاجتماعي؟ وماهي أسباب هذا الوله بهذه الوسائل؟ وماهي تأثيراتها على امننا الفكري؟ وماهي السبل الكفيلة للحد من هذا التوغل وكيف يمكننا تقنين استعمال هذه الوسائل؟

تحديد المفاهيم:

التعريف بكل من وسائل التواصل الاجتماعي والأمن الفكري: قبل الشروع في دراسة عنوان الورقة الذي هو "وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على زعزعة الأمن الفكري" لابد من التفاتة بسيطة نلقي من خلالها الضوء على ماهية وسائل التواصل الاجتماعي، وما المقصود بتلك الوسائل، هناك الكثير من وسائل التواصل الاجتماعي، منها الفيس بوك وواتس آب وتويتر وانستجراموالياوتيوب وجوجل+ وغيرها الكثير، وشبكة التواصل الاجتماعي تعرف بأنها "خدمة متوفرة عبر الانترنت تعمل على ربط عدد كبير من المستخدمين والمعلومات ويناقشون قضايا لها أهمية مشتركة بينهم، ويتمتعون بخدمات الأخبار، والمحادثة الفورية والبريد الالكتروني، ومشاركة الملفات النصية . والمصورة، وملفات الفيديو والصوتيات"، وتعرف ايضا بأنها "مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت، تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي، يجمع بين افرادها اهتماما مشتركا أو شبه انتماء (بلد- مدرسة- جامعة- شركة...) يتم التواصل

بينهم من خلال الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية، ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض، وهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، سواء أكانوا أصدقاء معروفين في . الواقع أم أصدقاء تم التعرف عليهم من خلال السياقات الافتراضية" ، وتعرف شبكات التواصل الاجتماعي كذلك على أنها مواقع الكترونية تسمح للأفراد بالتعريف . بأنفسهم والمشاركة في شبكات اجتماعية من خلالها يقومون بإنشاء علاقات اجتماعية" ، وتتكون هذه الشبكات من مجموعة من الفاعلين الذين يتواصلون مع بعضهم البعض ضمن علاقات محددة مثل صداقات واعمال مشتركة أو تبادل معلومات وغيرها، وتتم المحافظة على وجود هذه الشبكات من خلال استمرار تفاعل الأعضاء فيما بينهم.

ومهما تعددت التعاريف المتوفرة في هذا المجال، إلا انها تتفق في كثير من الأحيان على أن وسائل التواصل الاجتماعي هي عبارة عن مواقع على شبكة الانترنت، توفر لمستخدميها فرصة للحوار وتبادل المعلومات والآراء والأفكار المشكلات من خلال الملفات الشخصية وألبومات الصور وغرف الدردشة وغير ذلك، والشبكة الاجتماعية الرقمية عامة، يمكن التعبير عنها بأنها مجموعة هوايات اجتماعية ينشئها التفاعل الاجتماعي، ويمثلها هيكل أو شكل ديناميكي لجماعة اجتماعية، وهي تنشأ من أجل توسيع وتفعيل العلاقات المهنية أو علاقات الصداقة.

وبالالتفاتة الى الشق الثاني من الكلمات المفاتيح، أو من الخطوط العريضة في عنوان دراستنا هاته، نجد الأمن الفكري، فما المقصود بالأمن الفكري؟ قبل الخوض في سرد مفهوم الأمن الفكري، يتبادر الى ذهننا حين سماع الأمن الفكري؛ كم هائل من السكينة والطمأنينة وكل المشاعر الإيجابية، وحين العودة الى المعاجم اللغوية قصد البحث عن المعنى الحقيقي للأمن الفكري، فالأمن لغة من "أمن أمنا وأمانا وأمانة وأمَنا وأمنة، أي اطمأن ولم يخف، فهو آمن، وأمِن وأمين، يقال لك الأمان: أي قد امنتك" ١، وفي لسان العرب "أمن: الأمان: والأمانة بمعنى، وقد . أمنت فانا أمن، وامنت غيري من الامن والأمان. والأمن: ضد الخوف. والأمانة: ضد الخيانة" ، وفي الاصطلاح يطلق الأمن عامة على "الفعل الذي تقوم بها النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر، والاستنباط والحكم، ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري". والفكر في اللغة هو " إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ويقال في الأمر فكر: أي نظر وروية" ٤. والفكر في الاصطلاح يطلق على "الفعل الذي تقوم بها النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر، والاستنباط والحكم، ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها، أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري" ٥. وباعتبار ذلكفالأمن الفكري هو تلك "القدرة أو المحافظة على سلامة الأفكار والمعتقدات الصحيحة لدى الأفراد مع تزويدهم بأدوات البحث والمعرفة وبيان طرق التفكير الصحيح، ويكمل هذا ويتممه مسلك الأدب والتربية وحسن الاتصال" ، وحتى لا نطيل فالأمن الفكري اجمالا، هو صيانة لنفوس أفراد المجتمع الوحيد، وحماية ثقافتهم وقيمهم وثوابتهم، وكل شؤونهم وتحصينهم من كل فكر منحرف أو دخيل أو وافد أو مستورد لا يتفق البتة مع الثوابت والمنطلقات الرئيسية والأصيلة لهم.

دواعي الاستعمال المفرط لوسائل التواصل الاجتماعي:

مما لا شك فيه أن التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال الحديثة غير أنماط كثيرة في حياة الناس بعد

مساهمة هذه الأخيرة في العديد من القضايا التي ترتبط حتى بالعلاقات الإنسانية. فتكنولوجيا الأنترنت مثلا بلغت درجة متقدمة من التطور؛ فبرز الجيل الثاني من الأنترنت الذي قلب الكثير من المفاهيم وأتاح عديد الخدمات من خلال وسائله المتنوعة التي يأتي في مقدمتها مواقع الشبكات الاجتماعية عبر الانترنت، وهي ظاهرة برزت خلال السنوات الخمس الماضية وتطورت منذ بداية ظهورها إلى يومنا هذا لتصبح من أكثر المواقع استخداما عبر الانترنت، اذ تحولت الى بديل عن مختلف النشاطات التقليدية الماضية من خلال تفاعل عدد كبير جدا من المستخدمين، فأصبح الأشخاص يقضون وقتا كبيرا مع آخرين يبادلونهم نفس الاهتمامات ويشاركونهم نفس الفضاء ، ويعتبر التزايد الكبير والملموس في استخدام هذه الوسائل من طرف فئات مختلفة من المجتمعات الإنسانية في كل ارجاء العالم، سببا مباشرا في تعدد وتنوع هذه الوسائل، مقدمة بذلك عددا هائلا من الخدمات التي تتنوع من موقع الى آخر، وسعت كلها الى تحقيق نوع من الاشباع الروحي والثقافي والمعرفي وحتى العاطفي والفكري، ولا ضرر أن نشير إلى بعض خصائص وسائل التواصل الاجتماعي، من باب أثراء المقال. فهذه التواصل تتميز بعدد كم الخصائص التي تجعلها تتميز عن بقية التطبيقات والمواقع في الشبكة العنكبوتية. الأمر الذي ساهم في رفع أسهم هذه المواقع بالنسبة للمستخدمين ويجعلهم يقبلون عليها بشكل ملفت دون غيرها من المواقع على النت، وبالرغم من تنوع هذه الخصائص من موقع الى آخر إلا انها تشترك مع بعض في عدد من الخصائص، من ضمنها التعريف بالذات وهي الخطوة الأولى للدخول الى تلك الشبكات الاجتماعية، وذلك بإنشاء صفحة خاصة تحوي معلومات شخصية، ويقوم الفرد بتطويرها ومن خلالها يتواصل مع العالم بنقرة زر. ومن المميزات أيضا أنها تعتبر طرقا جديدة وسريعة لتكوين مجتمعات افتراضية، وربما تتطور لان تصبح اكثر حميمية من المجتمعات الحقيقية، وهذا في حد ذاته سيف ذو حدين؛ احدهما إيجابي والأخر سلبي، وهذا يتحكم فيه طبيعة افراد ذلك المجتمع، ومستوياتهم العلمية والثقافية وتوجهاتهم الدينية والعقدية، كل ذلك يتحكم في نتاجات تلك المجتمعات ، والى جانب ذلك نجد ميزة أخرى وهي سهولة الاستخدام، وبساطة تلك الوسائل التواصلية واتاحتها لكل فئات المجتمع، شبابا وشيوخا بل وحتى الأطفال، مما يستدعي جهدا مضاعفا من الانتباه والحيطة من طرف الراعي، الذي يتوجب عليه أن يكون مسؤولا عن رعيته وفي كل الأحول والى جانب ذلك هناك خصائص أخرى متعددة منها التفاعلية التي سعت وسائل التواصل الاجتماعي استثمارها وتجسيدها بين المتداولين والوالجين لها وذلك من أجل ضمان الاستمرارية والتطور، وأيضا نجد خاصية أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها؛ وهي الاهتمام إذ تسعى كل تلك الوسائل إلى استقطاب أكبر عدد من المتتبعين باختلاف اهتماماتهم وميولاتهم وتوجهاتهم. وغير ذلك من الخصائص التي تتميز بها هذه الوسائل والتي جعلتها تخطف القلوب والعقول معا أكثر من أي أمر آخر. وبالعودة الى الاحصائيات ولغة الأرقام، نجد أن تعداد الإيجابيات والسلبيات التي تتأرجح بينها وسائل التواصل الاجتماعي، تتقارب أحيانا وتتباعد أحايين كثيرة. وفي تقرير حول وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي؛ وهو تقرير لقياس انطباعات المستخدمين في أرجاء العالم العربي حول وسائل التواصل الاجتماعي، جاء فيه ان ٨١ % اعتبر ان وسائل التواصل الاجتماعي تلعب دورا في تسهيل اتصال الناس ببعضهم البعض، واعتبر ٥٧ % ان

وسائل التواصل الاجتماعي جعلتهم أشخاصا أكثر سعادة، في حين ان اثنين من بين كل ٥ مستخدمين يعتقدون بأن وسائل التواصل الاجتماعي تساعد على الحفاظ على عاداتنا وتقاليدنا، وأن لديهم ثقة في وسائل التواصل الاجتماعي وان من الدواعي المهمة التي جعل الناس اليوم يستعملون هذه الوسائل أكثر من أي ازمنة سابقة، هو دافع التواصل السلس والمرن، و٥٥ % هي نسبة الذين يستعملون وسائل التواصل الاجتماعي لغرض التواصل. يليه الحصول على المعلومة، ثم مشاهدة مقاطع الفيديو، والاستماع للموسيقى، ومشاركة الصور كثاني أهم سبب لاستخدام هذه الوسائل. والدافع الحقيقي وراء كل هذا؛ هو السهولة والوفرة، فالنت عموما قرب البعيد واختصر المسافات وجمع بين الناس، وسهل عليهم التواصل لذلك اصبح ضروريا استعمال وولوج هذه المواقع الاجتماعية.

دواعى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

وان تعددت إيجابيات وسائل التواصل الاجتماعي، إلا ان الأمر يظل عالقا بين أشواك غائرة، وكلنا ندري "أن عصر الاعلام الكوني ألغى حواجز العزلة بين الحضارات، كما أن السرعة المتزايدة والفائقة والمستمرة التي تدور بها اليوم عجلة تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، دفعت العالم الى الانتقال من المجتمع الصناعي الى مجتمع المعلومات، لتعصف ثورة المعلومات والتكنولوجيا متعددة الوسائط جوانب الحياة كافة، في التجارة والسياسة والتربية والتعليم إلى التسلية والألعاب" ، ومما يزيد من خطر هذه الوسائل هو أنها "هو أنها ليست كغيرها من وسائل الاعلام، فهي كونية وعالمية" متاحة لكل الأفراد دون استثناء، صغيرهم وكبيرهم؛ ذكرهم وأنثاهم، والشيء المهم الذي جعلها تتميز عن وسائل الاعلام الأخرى، هو طابعها التفاعلي، فالمستعمل يمكنه أن يشارك في مضمونها، ويضيف أو يغير أي شيء، ويمكنه أن يختار الخدمة التي يشاء وهذا في حد ذاته يصعد من خطورة الأمر، ويستدعي الحيطة والحذر خصوصا من طرف الاولياء خوفا وحماية لأبنائهم من مخاطر المتربصين المتسكعين في دروبات الانترنت ، ومما يدفع الى الافراط في استعمال هذه الوسائل، أنها تختلف عن وسائل الاعلام الأخرى، فالفرد بإمكانه أن يقضي أوقاتا طويلة دون أن يشعر امام الحاسوب، لأن هذه الوسائل التواصلية تقدم عدة خدمات تجلب الاهتمام، إضافة إلى توفيرها كل وسائل الاعلام التقليدية، كالصحف والمجلات الالكترونية، والبث الإذاعي والمكتبات الافتراضية، فهي توفر معلومات تتماشى وجميع الاهتمامات وجميع الأذواق، مما يجعلها تستحوذ على عقول الجميع دون استثناء. مما أدى بالتالي الى الرفع من مستوى مستخدمي هذه الوسائل بشكل ملفت ومقلق ، ولقد نتج عن هذا الاستعمال المفرط لشبكة الأنترنت عموما ولوسائل التواصل الاجتماعي خاصة، حصول ما سماه <فيليب بروتون> "المجتمع الجماهيري المتفرد" ويعتبر الأول سببا في ظهور الثاني، أي أن استعمال الانترنت بشكل مفرط أدى إلى ظهور مجتمعات افتراضية، أدت بدورها إلى بروز مجتمعات جماهيرية منفردة ، وتعد ظاهرة الاستعمال المكثف لوسائل التواصل الاجتماعي، ظاهرة عالمية تعاني منها كل المجتمعات البشرية اليوم، وليس الامر متعلقا بالعالم العربي وحسب، بل هي ظاهرة العصر، حتى باتت تظهر للوجود عيادات مختصة لعلاج الإدمان الالكتروني، ذاك الإدمان التي تولد من رحم الضغوط المجتمعية، خاصة في صفوف النشء، وفي الغالب نجد فئة الشباب والمراهقين هم الأكثر تضررا، وذلك نظرا لظروف اجتماعية ملتبسة؛ وهنا تكمن

الخطورة، اذ من السهل هنا تمرير أفكار مغايرة للتربية والاخلاق القويمة ومجانبة للقيم الإنسانية والدينية والأخلاقية، وهنا يظهر التأثير البليغ لهذه الوسائل على زعزعة الأمن الفكري بالخصوص، الذي يعاني العالم بأسره اليوم من ويلاته؛ والعالم العربي أكثر خصوصية، مما نتج عنه ظهور حركات متطرفة تسعى الى احقاق الحق من منظورها الخاص، ذلك الحق الذي تحول على عباءة فضفاضة كل يطلق فيها العنان لمقصه ليقصها ويلملمها كما شاء وكيفما شاء ، وبفعل الاستعمال المفرط لهذه الوسائل، "في منطقة شبه الجزيرة العربية خاصة، بدأ يسود الاعتقاد أنه قد يكون تم استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في دول عربية معينة، كأداة لأغراض سياسية للتأثير على الشباب من أجل تحقيق مكاسب سياسية، مثل الربيع العربي، وأنشطة الجماعات . الإرهابية وغيرها" ، وبالرغم من أن الشباب يعتقدون أن وسائل التواصل الاجتماعي تضيف الكثير من السعادة والاثارة الى حياتهم، يعتقد الخبراء في المنطقة العربية أن وسائل التواصل الاجتماعي لديها تأثير سلبي على الشباب ويعتقد أن بعض الآثار السلبية كالآتي:

- عدم التصرف وفقا لمعارفهم الفعلية: الرغبة في أن يعيشوا كالكبار نتيجة للتعرض لمحتويات مخصصة للكبار على وسائل التواصل الاجتماعي.
- الاتصال المحدود مع الوالدين: أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بمثابة الوالدين لهم، في حين أصبح الوالدان مجرد حراس.
- تبني الثقافة الغربية: على صعيد الملابس والموضة وبالتالي الابتعاد عن الثقافة العربية.
- عدم وجود رقابة على المحتوى بالنسبة للشباب.
- تدهور المستوى التعليمي للشباب: بسبب انخراط الطلاب المتزايد في العالم الرقمي بدلا من الانخراط في دراستهم، مثل استخدام الهواتف النقالة داخل الصفوف الدراسية.
- قد تؤدي وسائل التواصل الاجتماعي الى اندلاع العنف، بنشر أي شيء مثلا نشر اخبار عن اعمال عنف وقد تترسخ هذه الصور في خلد الناشئين مما يؤثر سلبا على نشأتهم.

ويرى قادة الرأي أن وسائل التواصل الاجتماعي تعزز النرجسية والسطحية، من خلال الحاجة الى التباهي ولفت الأنظار مع فقدان التركيز على القيم الهامة في الحياة. حيث ترزح المرأة مثلا تحت ضغط حب الظهور بمظهر أفضل مما يؤدي الى ارتفاع الإدمان على . التسوق، وينطبق ذلك بشكل خاص على منطقة بلاد الشام والعراق ، ومهما يكن الأمر، فوسائل التواصل الاجتماعي مثلها كمثل أي وسيلة متاحة للجميع، تظل تحتمل الوجهين معا، فكما لها إيجابيات أيضا لها سلبيات وخيمة تحتاج الى الاهتمام والوقوف عندها وقفة صادقة متأنية. وتظل الرقابة والتقنين هي الفيصل بين الوجهين معا.

تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي على زعزعة الأمن الفكري:

وبالعودة الى تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي على زعزعة الأمن الفكري، نجد أننا امام أمر لابد من الاعتراف به، وهو أن "شبكات التواصل الاجتماعي تمنح فرصة ذهبية لأصحاب الفكر المتطرف والجماعات الإرهابية لبث سمومها في المجتمع ونشر أفكار هدامة وقناعات مضللة تتنافى مع المعايير والقيم الأخلاقية والاجتماعية، وتمهد الطريق للوقوع في أخطار الانحراف وارتكاب السلوك غير السوي" ، وكل هذا تحت لواء ادعاء الانتماء للإسلام، مما يترتب عنه "تشويه لصور الإسلام وتنفير الناس منها ، واستهداف الدين الإسلامي من أعدائه ومنحهم الفرصة لمحاربته

والنيل من أبنائه" ، وكان هذا الدافع الرئيس لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، واطلاق الاحكام الجائرة في حق كل مسلم يقول ربي الله ، وحتى نرصد تأثير هذه المواقع على الامن الفكري، لابد من العودة إلى الاحصائيات، التي تشير كل سنة إلى ارتفاع مرتادي هذه المواقع واستعمال هذه الوسائل، حتى ان الامر أصبح يخيف الكثير من الدارسين والمهتمين بالشأن الاجتماعي، فذلك تزامن مع النمو الفظيع في نسبة الجريمة بكل أنواعها والالكترونية بشكل عام في العالم بأكمله، وأيضا مع تنامي ظاهرة ما يسمى اليوم بالإرهاب، وظهور جماعات مجهولة تنشط الكترونيا تستهدف الشباب الطائش وتزج به في زوايا العنف الضيقة، ذلك العنف الذي تتعدد أوجهه بين نفسي وجسدي،وتحت لواء الدين عامة والإسلام بشكل خاص، والدين ليس في ذلك بشيء وبريء تمام البراءة من كل ما يلصق به من عنف وتزييف وإرهاب ، وحين نلقي الضوء على جانب آخر من حياتنا المجتمعية، وهو النظام العام. نجد أن "الإساءة في استخدام سائل التواصل الاجتماعي تسهم أيضا في زعزعة الأمن والاستقرار عن طريق ترويع وإفزاع الافراد وإشاعة الفوضى وتقويض حالة الامن الفكري والاستقرار، وزعزعة الطمأنينة وبث روح الكراهية بين مختلف طبقات المجتمع، مما يسفر عن تشتيت الجهود وانخفاض الروح المعنوية للمواطنين" ، بالإضافة الى الرغبة في "الانتقام من المجتمع وتهديد أمن وسلامة أفراده بسبب مشكلات نفسية واجتماعية تجلب الحقد في صدر بعض المستخدمين على المجتمع، وتجعلهم يخرجون عن قواعد الضبط الاجتماعي" وحين العودة الى المعاني السامية للأمن الفكري، فهو "شعور الدولة والمواطنين باستقرار القيم، والمعارف والمصالح محل الحماية بالمجتمع، ووحدة السلوك الفردي والجماعي في تطبيقها، لكل من يعبث بها" ، ولعل في هذا التعريف ما يجمع بين خصائص وصفات الأمن الفكري من حيث:

- الأمن حالة شعورية نفسية.
- الفكر محصلة ونتاج لما يدركه العقل الإنساني من قيم، ومعارف، وعلم بالمصالح محل الحماية في المجتمع.
- وحدة السلوك العام لدى المجتمع أفرادا وجماعات في تطبيقهم للقيم والمعارف، والالتزام بصيانة المصالح محل الحماية بالمجتمع، مما يؤكد الولاء والانتماء للوطن.
- بلورة رأي عام رافض لكل ما يمس القيم والمعارف والمصالح محل الحماية.
- التصدي الفردي والجماعي لأي محاولة تمس مجموعة المصالح المعتبرة في المجتمع سواء من خلال الحوار، والمناصحة، والمناقشة والمقارعة بالحجة والبيان، أم من خلال تطبيق الحدود على من أراد الإفساد أو الإخلال بأمن المجتمع ، وفي واقعنا اليوم، نجد ان هذه المعاني قاربت على الافول، وبعدما كان "أرباب التنظيمات الضالة يركزون أنشطتهم في العوالم المادية ويبحثون عمن يتعاطف معهم في المساجد والمدارس والأحياء وغيرها، كما في المناسبات والفعاليات المختلفة والرحلات الصيفية، وبسبب صعوبة التجنيد من خلال تلك الأماكن وخطورته وقله جدواه في نفس الوقت، ومع ظهور الانترنت كأداة إعلامية متنوعة الوسائل سهلة الاستخدام، ورخيصة التكلفة، تساعد على التخفي، وفي نفس الوقت تصل الى المستهدفين في كل مكان" وكانت هذه ضمن الأسباب التي دفعت وشجعت تلك التنظيمات الضالة والمضلة إلى نقل عملياتها الى العالم الافتراضي، ليقينهم ان المواجهة الميدانية خاسرة بالنسبة لهم، ولن تؤتي أكلها كما هو مخطط لها، فالعالم الافتراضي يلجه الصغار والكبار والرقابة

فيه ضعيفة وقد تنعدم، مما يسهل الانفراد بعقول ساذجة والتلاعب بها كيفما يشاء هؤلاء، وإلحاق زعزعة فكرية قد تصل بهم الى حد الخروج من الملة ونفس النهج تنهجه الحركات التنصيرية التي تنشط عبر وسائل التواصل الاجتماعي أكثر من غيرها، ويمكن حصر أهم جوانب طرق التنصير عبر هذه المواقع فيما يلي:

١- **الصداقات:** أمر الصداقات وأثرها وأهميتها مما لا يخفى على كل عاقل، أن المرء على دين خليله ، والتنصير عبر إقامة الصداقات أمر توصي به مرجعيات التنصير عبر الشبكة كموقع: اليوم العالمي للتنصير عبر الانترنت، فإنه يوصي بإنشاء الصداقات، والتعامل مع الآخرين بكل مودة، والتسلل من خلال اهتماماتهم الرياضية والموسيقية ومتابعة الأفلام؛ لإيصال رسائل دينية، بعيدا عن طرق الوعظ والمباشر. مع التحذير من الدخول فيما يسبب صداما مع الآخر.

٢- **المجموعات:** وهي خدمة مشابهة تماما لخدمة المجموعات البريدية، وهناك مجموعات كثيرة تسعى للتبشير بالدين المسيحي منها: التبشير باسم المسيح له كل المجد، ومجموعة: معا لتكثيف حملات التبشير في تونس، وغيرها الكثير. وفيها تتم مهاجمة الإسلام والمسلمين بأقبح الاوصاف والتهم. وهناك مجموعات أخرى الخادمة للكتاب المقدس عرضا وتفسيرا وتأملا ودفاعا ومقارنة بينه وبين القرآن لإظهار تفوقه، ونشرا للبرامج الالكترونية الخادمة لها والعمل التنصيري الخادم للكتاب المقدم كبير جدا، من حيث عدد المجموعات وتعداد أعضائها وموضوعاتها المتنوعة.

٣- **الملفات والصور**: تكاد تكون اعداد الصور المتداولة في هذه المواقع شيئا من ضرب الخيال، وهناك احصائيات تفيد بأنه في كل عشرين دقيقة؛ هناك أكثر من مليوني صورة جديدة تضاف إلى محتوى هذه الشبكة الضخمة.

٤- وهناك الملفات المرئية والروابط التي من خلالها استفاد العمل التنصيري بوضع الدعوات للدخول إلى المواقع التنصيرية، سواء كانت مواقع أو منافذ لبعض الخدمات التفاعلية، كالملفات المرئية، أو حسابات الشبكات الاجتماعية، أو غيرها.

٥- **الأحداث:** وهي المناسبات، وتعد واحدة من أهم التطبيقات الأساسية في الموقع. من خلالها يدير المستخدم الدعوة للمناسبات بفعالية كبيرة. وقد استفاد العمل التنصيري من هذه الميزة، فأخذ يدعو الى الأعياد الدينية وحفلا الكنائس والمحاضرات التي تقام فيها، والاعمال . التطوعية لعمارة وتنظيف الكنائس وحفلات افتتاح كنائس جديدة وحين التدقيق في هذه الجزئيات، نجد أنها قد تظهر للبعض أمرا عاديا ومستساغا، لكنه أخطر من ذلك بكثير، ولعل أخطر الأمور التي قد تصادق النشء في حياتهم؛ هو زعزعة العقيدة وهذه في حد ذاتها جريمة تعاقب عليها قوانين الكثير من الدول كما في القانوني الجنائي المغربي وعالمنا العربي اليوم في خضم هذا الشد والجذب، تاهت عنه بوصلة الأمن الفكري خاصة، ذلك الامن الفكري الذي يلعب دورا مهما في الاستقرار الاجتماعي والنفسي؛ وكلنا ندري أن "الاستقرار الاجتماعي هو مطلب كل الدول، وعليه تعقد الآمال في بناء المجتمعات وتحقيق أهداف تنميتها ولن يتحقق ذلك إلا في ظل الدور المهم للأمن الفكري" ٣. وأيضا يساهم في تحقيق الاستقرار الديني والخلقي؛ فالأمن الفكري هنا "التزام ووسطية، وشعور بالانتماء الى ثقافة الأمة وقيمها، فضلا عن أنه يعني فيما يعني إليها حماية عقل الإنسان وفكره"، ولن يفوتنا الإشارة الى أن للأمن الفكري أهمية

قصوى في تحقيق الاستقرار : الديني والخلقي من خلال الضوابط الآتية :

- الامن الفكري يهتم بتصحيح المفاهيم والمصطلحات الشرعية وتنقيتها من المصطلحات المشبوهة والمغلوطة.

- بتعزيز الامن الفكري لدى أبناء الامة يتمكنون من التحاور مع العالم بثقة وينتفعون بما لدى الحضارات الأخرى في شتى المجالات.

- الأمن الفكري له الدور الكبير في التصدي للإرهاب من خلال الاهتمام بدعم الحوار الفكري القائم على التأصيل الشرعي، والمبني على المخاطبة العقلانية، والحرية الفكرية.

٢- فإذا رجعنا إلى الفصل ٢٢٠ من القانون الجنائي المغربي نجده يقول: "من استعمل العنف أو التهديد لإكراه شخص أو أكثر على مباشرة عبادة ماأو على حضورها، أو لمنعهم من ذلك ، يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وغرامة من مائة إلى خمسمائة درهم"، "ويعاقب بنفس العقوبة من استعمل وسائل الإغراء لزعزعة عقيدة مسلم أو تحويله إلى ديانة أخرى، وذلك باستغلال ضعفه أو حاجته إلى المساعدة أو استغلال مؤسسات التعليم أو الصحة أو الملاجئ أو الميأتم، ويجوز في حالة الحكم بالمؤاخذة أن يحكم بإغلاق المؤسسة التي استعملت لهذا الغرض، وذلك إما بصفة نهائية أو لمدة لا تزيد على ثلاث سنوات". الجدير بالملاحظة أولاً أن الجزء الأول من الفصل لا يتعلق بحكم المرتد كما يريد البعض من السطحيين إلى افتعاله بل هو متعلق بالإكراه في الدين عامة أي أن الأمر لا يتعلق بالإسلام فقط بل كل الأديان. في الجزء الثاني من هذا الفصل يتطرق المشرع لزعزعة عقيدة المسلم، هنا نتحدث عن الجريمة اتجاه المسلم تحديداً: أي أن اليهودي والمسيحي غير معني بهذا الفصل ، ولم يحدد صفات المحرض على تبديل الدين، لكنه حدد طرق الإغراء: -استغلال ضعفها - استغلال مؤسسات الصحة - حاجته إلى المساعدة – استغلال مؤسسات التعليم أو الملاجئ أوالمياتم ، وعموما فالأمن الفكري يلعب دورا رياديا في كل مناحي الحياة؛ في تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي وفي المجال الجامعي وغيرها من المجالات. وهو مطلب ملح وضروري داخل كل المجتمعات البشرية، والعالم العربي اليوم في أمس الحاجة للاهتمام به وبأوجاعه، ومحاولة نشر الأمن الفكري فيه، من خلال اتباع النهج الوسطي الذي جاء به ديننا الحنيف، وتقبل الآخر والحوار معه والتعايش معه وتقبله كما هو بفكره وعقيدته ولونه وجنسه، أن يصبح الجانب الإنساني أسمي من كل الاعتبارات، ولابد من الاهتمام بالنشء وتحصينهم ضد التيارات الجارفة التي تجتاح كيان هذا الوطن، وتسعى الى اجتثاث قيمه وتعاليمه والضرب بها عرض الحائط. فقد أدى استخدام شبكة التواصل الاجتماعي الى "التخفيف من القيود والحدود التي كانت تقوم بعملية . ضبط السلوك المعلوماتي، وأصبح من الممكن تجاوز القيم والمعايير والضوابط الاجتماعية ، فهناك مواقع مخلة تعمل على تدمير قيمنا واخلاقنا، وتنمي الرذيلة، وتبعد الانسان عن دينها وعاداتها وتقاليده، وتدفعه الى ارتكاب الجرائم في حق الأبرياء واقتراف المحرمات، وبالرغم من بعض الحلول التكنولوجية لمنع العثور على تلك المواقع في محاولة لفلترة الشبكات الاجتماعية، إلا أن الكثير من متصفحي الانترنت قادرون على الوصول إليها بسهولة ويسر، مما يؤدي في النهاية الى تذبذب منظومة القيم لدى الشباب، واثارة الشبهات حول الرموز الدينية ، ولعل من أبرزالحلوللتحقيق هذا الامن الفكري رغم التحديات، نجد الدور المهم الذي يجب ان تلعبها

الجامعات في مختلف التخصصات. خصوصا في عصر العولمة، وذلك من خلال مساعدة الشباب على مواكبة العصر وتوظيف معطياته بشكل إيجابي، حتى يكونوا منتجين للحضارة وليسوا فقط مستهلكين لها. فالجامعة بكل كوادرها وهياكلها، يجب أن تأخذ زمام المبادرة في التفاعل الجدي والمباشر مع مختلف الظواهر السلبية التي تظهر بين أبنائها، فتقوم برصد تلك الظواهر السلبية، وتعمل على دراستها وتحليلها وتقييمها، ثم تجتهد في وضع الحلول المناسبة والإيجابية لها ، ويجب الانطلاق من كون التواصل الاجتماعي هو نقل للأفكار والتجارب وتبادل الخبرات والمعارف بين الأفراد والجماعات بتفاعل إيجابي، وبواسطة وسائل تتم بين مرسل ومتلق، وهو جوهر العلاقات الإنسانية ومحقق تطورها. والأمن الفكري يتحقق من خلال النقاش الحر الموجه نحو تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع معا، والسعي لتوفير حياة سعيدة وسوية ومستقرة ، ولابد من التوعية أيضا لمواجهة هذا المد المتسارع لانتشار واتساع رقعة استعمال وسائل التواصل الاجتماعي، والتوعية خصوصا لابد ان تكون في مجتمع الشباب ضد الاشاعات والحرب النفسية ومحاولة التأكد من المعلومات قبل تصديقها أو نقلها، وتوفير مواقع للتحقق من الأخبار تشرف عليها جهات مختصة ، بالإضافة الى ضرورة تفعيل خدمات الارشاد النفسي والاجتماعي والديني للشباب، والعناية أيضا بالبرامج الثقافية، والمواد التي ترسخ الهوية وتساعد الشباب على التحرر من تأثيرات الثقافة الغربية، من خلال شبكات التواصل الاجتماعي التي باتت من اقوى وسائل التأثير في العقول والالباب ، ومن الضروري أيضا ضرورة توفر الجانب الفكري الرصين، من حيث الشكل والمضمون بما يتوافق مع منهج الإسلام، والعقيدة الإسلامية، فالتفاعل الحضاري بين المجتمعات ووسائط الاتصال والمعلومات جعلت كثيرا من المجتمعات تعاني من العديد من الظواهر والتحديات المتشابهة، وهذا لا يعني أن يكون : أسلوب التعامل ومنهجه معها متماثلا بالضرورة، ويتحقق ذلك من خلال:

١- الإفادة من شبكة التواصل الاجتماعي في نشر ثقافتنا، والتعريف بما يمكن أن يقدمه للإنسانية لحل مشكلاتها، خاصة وأن هذه المشكلات أصبحت كثيرة ومعقدة، كما أن الحلول الإسلامية لهذه المشكلات رغم ما يمكن ان تقدمه من حلول منطقية ومفيدة فإنها غير معروفة عند كثير من الشباب.

٢- الإفادة من إيجابيات شبكة التواصل الاجتماعي لأن الحصول على المعلومات من خلالها سهل بما فتحتها من آفاق معرفية جديدة، عن طريق سهولة الاتصال بمراكز البحوث على مستوى العالم.

٣- توظيف شبكة التواصل الاجتماعي في اتجاه الجانب الوقائي المتمثل في توعية الناس بمخاطر المشاكل العامة والتي تمثل تهديدا للمجتمعات من أعمال الإرهاب والعنف.

٤- تكثيف البرامج والمناشط الإسلامية الخاصة بفئة الشباب من شأنها بيان خطورة ما تدعو اليها بعض مواقع شبكة التواصلالاجتماعي من التحلل والبعد عن القيم والمثل العليا للمجتمع المسلم.

٥- تقديم نموذج القدوة الحسنة أمام الطلاب في استخدام شبكة التواصل الاجتماعي في مجال التعلم والحصول على المعلومات، وتطويعه الفاعل في العملية التربوية التعليمية.

٦- تشجيع شركات الدعاية والاعلام لنشر وعرض وسائل وارشادات عن اخطار الإباحية عبر لوحاتها المنتشرة في أماكن ومواقع متعددة.

(*) ينشر بالاتفاق مع شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات